ملتقى ربيع الفلسفة الدولي الخامس:

ربيع في الفلسفة وتحالف في الحضارات

فاس ـ «القدس العربي»:

لعل ملتقى ربيع الفلسفة الدولي في دورته الخامسة (يومي 10 ـ 11 اذار/مارس 2006) قد حقق نجاحا كبيرا وقفزة نوعية في مسار هذا اللقاء السنوي الذي يعقد كل سنة احتفاء بالدور الريادي الذي تنهض به الفلسفة في بناء الحضارات وتجذير وجود الانسان على الوجه الأمثل. وتتجلى أهمية هذه الدورة في تضافر جهود منظميها (جمعية أصدقاء الفلسفة ـ وزارة الثقافة ـ مجلس مدينة فاس ـ معهد غوته) وداعميها (جامعة محمد بن عبد الله ـ مقاطعة أكدال ـ جمعية الأعمال الاجتماعية للجماعة الحضرية والمقاطعات وبلدية المشور) وكذا في طبيعة المحاور المتناولة خلالها بالدرس والتحليل والتأويل، وتميز رؤى المتدخلين في جلساتها، وغنى النقاشات التي أثارتها لدى جمهور أدهش الجميع بكثافة حضوره وتعطشه للمساءلة وابداء الرأي. ولعل طراوة الشعار المختار لهذه الدورة (الفلسفة وتحالف الحضارات) هي التي أضفت على اللقاء جاذبية خاصة وفتحت أفق المداخلات على مناهج حداثية قائمة على رحابة الاحاطة وتسامح الرؤيا واحتمالية الخلاصات، وكلها سمات ارتقت بالخطاب الفلسفي من رتابة الاجترار الى دينامية الاجتهاد، وأكدت بأن الفلسفة هي مجال السؤال المشرع على شتى الاجابات بدون منازع.

خلال هذين اليومين تطرق المشاركون لمحاور متعددة ومتنوعة: الفلسفة وتحالف الحضارات ـ صراع الحضارات والتنبؤ بنهاية الانسان ـ الفلسفة والانسان أو ما بعد الفلسفة ـ الفلسفة ومستقبل الانسان.

ناقشها فلاسفة وباحثون من اسبانيا وألمانيا والمغرب بأساليب تعكس تنوعا في النظر وتوحدا في الهدف =ترسيخ تقاليد حقيقية لحوار حضاري يسعى الى اثبات الذات دون الغاء الآخر، ويمد جسورا فكرية وسلوكية متينة بين الشعوب والأمم، ويشبع حاجة الانسان الى التعايش والتكامل. وهذا ما عبرت عنه بوضوح كلمات الافتتاح التي ألقاها كل من رئيس جمعية أصدقاء الفلسفة الأستاذ عزيز الحدادي الذي تساءل عن معنى العالم في غياب الفلسفة، وعن قيمة الانسان في غياب الأحلام، وعن آفاق الحضارات في غياب التحالف، والسيد والي جهة فاس ـ بولمان الذي أعطى لهذا الملتقى شحنة جديدة من خلال دفاعه عن بقائه وحرصه على امتلاك الفلسفة لبيتها (بيت الحكمة) من أجل الاستقرار والراحة من الترحال؛ وممثل مجلس المدينة الذي جعل من ربيع الفلسفة ملتقى حقيقيا لحوار الثقافات وتحالف الحضارات ومدير معهد غوته في المغرب والكاتب العام للجمعية المغربية لدرسي الفلسفة ونائب الكاتب العام لفرع اتحاد كتاب المغرب بفاس.

الفلسفة وتحالف الحضارات:

برئاسة جوزيف بويج انطلقت أولى جلسات الملتقى بمداخلة للأستاذ خوان مارتوس كيصادا من جامعة كومبلتينسي بمدريد، عنوانها «الاتحاد كتوجيه للحداثة في الاسلام» تحدث فيها عن مفهوم الاجتهاد في الدين الاسلامي وعن الأهمية التي يكتسيها في الحضارة العربية الاسلامية، وعن عودة الاجتهاد بأشكال مختلفة ابتداء من القرن 18 الى الآن. وذكر بأن لفظة اجتهاد وردت على لسان النبي محمد (ص) أول مرة حين سأله أحد الصحابة المكلفين بمهمة عن الكيفية التي سيحكم بها بين الناس فأوصاه باعتماد القرآن واللجوء الى الاجتهاد في الحالات الاستثنائية. بعد ذلك انتقل كيصادا الى المذاهب الأساسية في الاجتهاد واعتبر أنه فعل فردي قائم على القياس والعقل وملاءمة النصوص مع تجدد الواقع وتعدده المستمر. ثم قام بتحديد البناء الابيستمولوجي لفعل الاجتهاد وأورد بعض الآيات القرآنية التي يبدو فيها باب التأويل والاجتهاد مفتوحا، وانتهى الى القول بأن الاجتهاد أداة تحديث وتطوير للاسلام المعاصر ووسيلة للانفتاح على الآخر وأنه يتمثل في استعمال التأويل العقلي من قبل الانسان لفهم النص الديني، واعترف بوجود حدود للاجتهاد هي حدود النصوص الواضحة البينة بنفسها، ونادى بملاءمة النصوص مع تطورات العصر حتى يتمكن الاسلام من مسايرة ركب الحضارة.

وبعنوان «التفاعل الايجابي بين الحضارات» قدم د. محمد مصطفى القباج بحثا أشار في ديباجته الى أنه يندرج ضمن مبحث الحضارات المقارنة وهو فرع من فروع فلسفة التاريخ، ومن جملة مهامه رصد التطور الزمني لحوار الحضارات، لأن أعمار الحضارات مثل أعمار الانسان كما يقول ابن خلدون في مقدمته تنشأ ثم تنضج ثم تنهار. وأكد على ضرورة تدقيق النظر في مفهوم الحضارة معتبرا أنها فضاء وشكل، فهي فضاء من حيث أنها مشتركة بين عدة أوطان ومجتمعات وشعوب، وهي شكل لأن معالمها تتجلى في درجة عالية من التطور التقني. كما أن لكل حضارة مميزات خاصة (مصرية، افريقية، آسيوية، هندية، أوروبية ...). غير أن هناك قاسما مشتركا وعاما بين الجميع. ثم قدم الباحث نماذج متعددة للتصورات التي يمكن أن تنهض عليها الحضارات. هناك النموذج الأفلاطوني المطروح في جمهوريته والقائل بأن المنطق يقتضي أن يتولى أهل العقل تدبير شؤون الدولة، والسر في ذلك أنهم لا يقبلون بالنزعات الطبيعية بل يتبعون ما يستوجبه التفكير العقلي فيسيرون المجتمع المبني على الفضائل، لأن القفزة النوعية من التوحش الى التحضر تحققها النخبة العالمة التي تعول أساسا على فعل التعقل. والنموذج الثاني يمثله ابن خلدون الذي يرى أن الحضارة تفنن في الترف. أما النموذج الثالث فيكمن في رأي سبينوزا من خلال كتابه «السياسة» حيث يقول ان المجتمع المدني يتأسس على العقل. وأخيرا هناك نموذج أرنولد توين الذي يرى أن كل حضارة تنشأ على أنقاض أخرى تبعا لمبدأ التحدي والجواب. ويستخلص د. القباج بأن ما يفهم من كل ما سلف هو أن الحضارات تتشابه في الشكل وتختلف في الخصوصيات.

صراع الحضارات والتنبؤ بنهاية الانسان:

وفي الجلسة الثانية التي أدارها محمد مصطفى القباج ألقى د. محمد المصباحي مداخلة بعنوان «التحالف الحضاري تحالف في القيم» شدد القول فيها على أن تفعيل «التحالف الحضاري» لن يكون ممكنا الا اذا عدنا الى قيم الحقيقة والعدالة والمساواة بين الشعوب والحضارات مهما صغرت قيمتها. والعمل على محاربة انعدام التفاهم بين الحضارات والأحكام المسبقة والاهانات المتبادلة بين الثقافات، لا سيما بين الثقافتين الاسلامية والغربية، أمر ضروري. وأوضح أن منطق الحوار بين الحضارات لم يعد كافيا في مواجهة التطرف المتزايد في العالم، لذلك كان لا بد من منطق جديد للتحالف الحضاري لتفنيد نبوءة «هنتنغتون» التي تتكهن بمواجهة دموية آتية بين الحضارات. لكن لا ينبغي أن يعني التحالف الحضاري التغاضي عن المثل الانسانية العليا كالاعتراف بحقوق الانسان وكرامته، وانما الرد على ايديولوجية المقت الحضاري .وبعد أن فصل د. المصباحي في الشروط الأساسية لتحالف الحضارات انطلاقا من حقوق الانسان استخلص أن المجتمع الغربي هو نتيجة الفلسفة أما نحن فمنذ ابن تيمية وابن خلدون نعيش تحت طائلة تحريم الفلسفة والعلوم الطبيعية.

والأدهى من ذلك أننا نزعم بأننا نعيش على مقتضى الشريعة في حين أن الشريعة تستعمل في الظاهر لارضاء الجماهير أما في الباطن فان الفلسفة الغربية بمعناها الواسع (العلوم والصناعات والتقنيات الاقتصادية والاعلامية والجامعية..)، هي السائدة. لذلك يجب علينا أن نتخلى عن هذه الازدواجية، لا بالعودة الى شريعة قحة ولكن بتطوير الشريعة لكي تندمج في المشروع الحضاري العام.

بعده قدم د. عبد الرزاق الدواي من جامعة محمد الخامس بالرباط ورقة بعنوان «الحوار بين الثقافات، الأخلاقيات والشروط الغائبة» قال فيها انه ليس هناك مجال للحوار الثقافي في غياب الاختلاف. وان الضرورة تستدعي توفر مبدأ التسامح لتفعيل كل حوار بين الثقافات، لأن التحلي بفضيلة التسامح يعني الاعتراف بحق المغايرة، واعتمادا على هذا المبدأ يمكن ايجاد أرضية للتعايش السلمي بين الثقافات في عالمنا المعاصر، كما أن التسامح يمكنه أن ينعش مبادرات الحوار بين الثقافات لمواجهة مظاهر الكراهية والتهميش والنبذ والاقصاء، في حين أن الاعتقاد بالانفراد بامتلاك الحقيقة لا يؤدي الا الى الاستبداد والتعصب الأعمى ورفض الفكر الآخر جملة وتفصيلا .وعبر د.الدواي عن عميق ايمانه بأن ثقافة الحوار ينبغي أن تشكل العنصر الأساسي في العلاقات القائمة بين الشعوب في عالمنا الحالي، فهي البديل الحضاري المتاح لتمتين أسس التعاون والتآخي، كما أن الحوار بين الثقافات لا يستقيم بدون مبادئ وشروط وأخلاقيات، واعتراف متبادل بالحق في الاختلاف ورفض التبعية والهيمنة والتوق الى عدالة وانصاف حقيقيين.

وفي محاولة للاجابة عن السؤال: «هل الفلسفة وسيلة تحالف؟» افتتح د. عبد السلام بنعبد العالي مداخلته بالتأكيد على أن الاحتكام الى العقل السليم يفضي الى القول بأن من شأن الفلسفة رفع سوء الفهم ولم الشتات وتكريس الائتلاف. لكن تاريخ الفلسفة يسجل بأن الفلاسفة لم يكونوا دعاة وئام ولا مصدر تصالح، والعديد من النصوص الفلسفية ما زالت حتى اليوم مثار تأويلات متضاربة وجدالات لا متناهية. هل نستنتج من كل هذا أن منهج الفلاسفة ومنطق خطابهم لا يتوخيان خلق التفاهم بقدر ما يستهدفان اذكاء روح النقد وخلق سوء التفاهم أو ابرازه على الأقل؟ خلف هذا التساؤل يمضي بنعبد العالي حافرا في طبيعة العلاقة القائمة بين المتحاورين في المجال الفلسفي ليرسم مدى المسافة الفاصلة بينهم والتي تزداد قربا كلما ازداد بعدهم، كأن اللقاء بينهم لا يتم الا عند نقط افتراق والاتصال لا يتم الا عند نقط انفصال. بحكم أن الفلسفة من حيث هي مقاومة تعمل ضد كل ما من شأنه أن يكرس التطابق والوفاق والائتلاف والتقليد مما يؤكد بأن كل تفاهم مفترض يخفي من ورائه سوء تفاهم أصلي. اذن لا عجب في أن يسود الفكر المعاصر ما يدعى فلسفة التوجس التي تنطلق من سوء نية أصلية وتفترض ليس شيطان ديكارت فحسب ولا مكر التاريخ الهيغيلي وحده ولا خبث العلامات الذي تحدث عنه فوكو وانما خبثا أنطولوجيا يشمل الكائن برمته، وهذه الفلسفة سيئة الظن حين تقرب بين المتحاورين تجعل كلا منهم يبتعد عن نفسه، وبذلك تضع التوحد محل الانعزال. ويورد بنعبد العالي في ذات الصدد نصا بليغا لمارتين هايدغر بعنوان: «لماذا نحب البقاء في الأرياف؟» يقول فيه: «غالبا ما ينده‍ش أهل المدينة من انعزالي الطويل الرتيب في الجبال مع الفلاحين. الا ان هذا ليس انعزالا وانما هي الوحدة. ففي المدن الكبيرة يستطيع المرء بسهولة أن يكون منعزلا أكثر من أي مكان آخر، لكنه لا يستطيع أبدا أن يكون وحيدا، ذلك أن للوحدة القدرة الأصلية على عدم عزلنا، بل انها على العكس من ذلك ترمي وجودنا بأكمله في حوار واسع مع جوهر الأشياء كلها «وهذا التقابل بين الريف والمدينة هو في صلب المعنى تقابل بين فضاء تسوده علاقات حميمة يغلفها الصمت وفضاء يسوده انعزال مغلف بعلاقات سطحية. وعلى سبيل الاستخلاص يرى د. عبد السلام بنعبد العالي أن مهمة الفلسفة تتمثل في أنها تنقلنا من الانعزال نحو التوحد، ومنة الاتصال الموهوم والتلاحم الكاذب نحو التواصل الحق، فتأخذنا من المدن وصخبها و«تمدنها» صوب فضاءات تساعدنا على فتح حوار رحب مع جوهر الأشياء.

الفلسفة والانسان أو ما بعد الفلسفة:

أما الجلسة الأولى من اليوم الثاني فقد تمحورت حول «الفلسفة والانسان أو ما بعد الفلسفة» وعقدت برئاسة خوان مارتوس كيصادا، وخلالها تلا جوزيبي بوتج من جامعة كومبلتينسي بمدريد مداخلة عنونها بـ«ثلاث قراءات أسبانية لابن خلدون» لخص فيها تصورات ابن خلدون للحضارة وقيام المجتمعات المتمدنة مركزا على فكرة أساسية مفادها أن علم التاريخ هو علم يساهم في تأسيسه الجميع كل حسب اهتماماته ومنظوره الخاص، لأن ادراك الحقيقة التاريخية ليس من السهولة بمكان والالمام بالتاريخ يعني الالمام بحقيقة الأحداث وأسبابها، ولذلك كان سعي ابن خلدون الى ادراك الأسباب والعلل بغية تأسيس علم العمران باعتباره اللبنة الأساسية لتشييد كل حضارة.

وفي اعتقاده أن الحضارة تنشأ عبر مراحل أي بالانتقال من البداوة الى التمدن وبشكل تطوري. ويرى جوزيبي بوتج أن ابن خلدون بذل مجهودا بينا من أجل ايجاد الوسائل الحرية بتلافي أسباب الانحطاط والتدهور كالظلم والاستبداد وحكم القبيلة والعشيرة.

كما دعم بحثه بمجموعة من الاستشهادات المستقاة من كتابات الباحث الاسباني أورتيغا مؤسس الاستشراق الاسباني الذي أنجز عدة بحوث حول ابن خلدون وغيره من فلاسفة الأندلس.

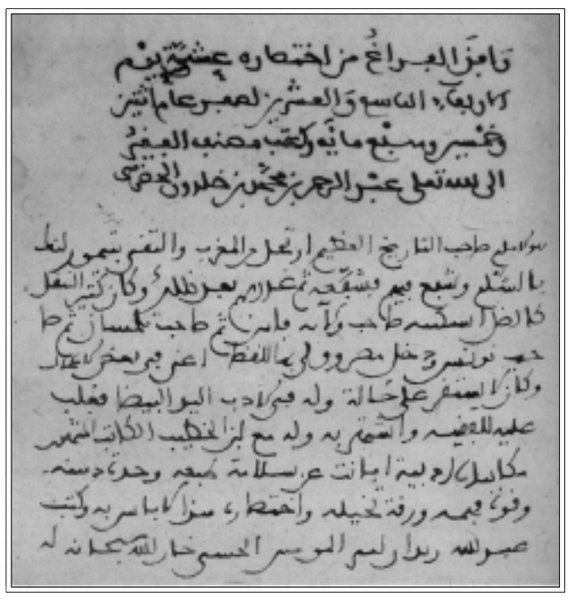

صفحة من مخطوط ابن خلدون بخط يده

وقدم الباحث الألماني ماركوس هافل بضع ملاحظات نقدية بصدد السياسة المتعلقة بتحديد الهوية وثقافة الحداثة، بدأها بالقول ان الناس اعتادوا تسمية العصر الذي نعيش فيه عصر العولمة، والمقصود بذلك تقارب كل أجزاء العالم من بعضها وقصر المسافات والتعايش بين الناس. ففي بداية العولمة ساد انبساط قوي ودار الحديث عن عالم واحد مؤتلف يمكن أن تحل فيه المشاكل الاجتماعية والسياسية، وتمنى الجميع أن يكون موقف الفكر الملائم يمثل عولمة المواطن العالمي وطريقة تفكيره. وسجل ماركوس هافل أزدهار النزعة القومية من جديد بصورة فائقة حتى في المواقف الرسمية الى جانب التعصب الديني، وذكر بأن العولمة لا تؤدي الى تحسين الأوضاع الاجتماعية بل تفاقم تدهورها. واعتبر في سياق حديثه ان مصطلح الهوية متداول بكثرة وهو مصطلح جوهري غالبا ما يتعرض للتحريف والابتذال، وعندما يدور الحديث عن الهوية فانه يخفي في طياته عجزا أو نقصا ماديا للحق في العيش والحاجة الى هوية مشتركة الى جانب الارشاد والحماية، وكلما احتد التركيز على الهوية انغلقت المجتمعات على نفسها وامتنعت عن القبول بحوار التفاهم وتشبثت بآراء مسبقة.

وفي مدار البحث عما يربط الفلسفة بالشعر بسط د.عبد الرحمان طنكول من جامعة محمد بن عبد الله بفاس في مداخلة حول «ملتقى الحضارات، الفلسفة والشعر» جملة من التأملات اللذيذة حول علاقة الشعر والفلسفة ومدى تشابكهما وانفراطهما أحيانا، ذلك أن جوهر الشعر يكمن في بعده الفلسفي وتماسكه لا يتحقق الا بالاتكاء على منظومة فكرية رؤيوية تستبطن صميم الذات وتسمو بها عن سطح الوجود. ومن خصوصيات الشعر حين يمتطي صهوة التفلسف أو التصوف، حسب د. طنكول، أن تنزاح لغته عن مقاصدها الى أبعد حد، حيث يغدو اللفظ في النسق الشعري رمزا يستدعي علاقات جدلية تقود النسيج اللغوي الى الانفتاح على عوالم باطنية كانت من قبل ألفاظا تشبه قافلة نمل تسير بانتظام، وهذا ما يتطلب من مستكشفها أن يتزود بما يكفي من العدة المعرفية واللغوية لكي يجلو الغموض العالق بها .لقد كان نيتشه محقا حين قال على لسان زرادشت بأن على المرء أن يكون منقبا جيدا في الدواخل سابرا للأغوار لأن أسرار العالم السفلي ليست سهلة المنال، فهي تؤخذ بالدهشة واللذة والألم. والشاعر والفيلسوف عندما تنصهر رؤاهما في هاجس جمعي تتحول الأشياء والكائنات في نظرهما من صورها الضبابية الى علاقات واضحة، وبذلك يخترقان جدار الصمت الى جدار الحقيقة. لكن الحقيقة بتعبير سارتر ليست طبقا من تفاح أو موز طيب المذاق بعد القطاف، والشاعر لا يسكن الا المكان الذي يبرحه، والشعر والفلسفة يعيشان طفولة أبدية. وكما أن الشعر هو الشباب الأزلي للخلق فان الفلسفة هي التجديد الأزلي للانسان، بفضلها ينفتح على العالم ويصبح هو «آخر» نفسه عبر ارتباط لا يخلو من مكر والتباس .

وتطرقت د.وفاء الادريسي العايدي من جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء الى «دور الترجمة في تحالف الحضارات» من خلال شبكة من التساؤلات الفلسفية واللسانية انطلاقا من رغبة الانسان في غزو العالم وسعيه الدائم الى اكتشاف حضارات أخرى : اذ كيف يمكنه أن يتواصل مع الآخر ويكتشف ذاته هو ويقف على مميزات الآخر وطريقة تفكيره والوسيلة اللسانية التي يوصل بها أفكاره اذا لم يكن يحسن لغته؟ هكذا اذن تنبع الحاجة الى الترجمة وضرورة تحويل اللغة الغريبة الى لغة مألوفة. غير أن هناك اشكالية حتمية تتمثل في ثبات اللغة، فهي حسب هايدغر مسكن الوجود وملاذه. وبالتالي هل يمكن فصل الوجود عن اللغة وعن الانسان؟ وهل يمكن استحضار أحدهما في غياب الآخر؟ من الصعوبة بمكان الاقدام على ذلك لأن الوجود يتجلى فيما هو كوني والانسان هو المعبر عن هذا الكون واللغة هي وسيلته لتمرير خطابه وتعبيراته. وهو لذلك في حاجة الى لغة مشتركة تعينه على الاقتراب والانفتاح على الحضارات الأخرى. لكن العبرة في منطوق د.الادريسي ليست بمضمون ومنقول الترجمة بل بما تفتحه من آفاق رحبة أمام المتلقي وبما توفره من امكانيات للتفلسف، وبطبيعة الجسور التي تنصبها بين الثقافات واللغات. فهي فضلا عن كونها تيسر سبل التعارف والتحاور تغني الأفكار وتفتح الأعين على العالم الخارجي بحثا عن أوجه القرابة والاختلاف في طرائق العيش ووجهة النظر الى الحياة والتفردات الحاصلة في أنماط العيش لدى كل مجموعة بشرية على حدة.

الفلسفة ومستقبل الانسان:

وبعنوان «في القوة والحكمة» قدم د. عبد الحي أزرقان مداخلة هدف من خلالها الى تطوير مفهومي القوة والحكمة في المجال السياسي اعتمادا على تناول الفلاسفة المحدثين لهما لمحاولة فهم مجموعة من الظواهر التي تسود في المجتمع المعاصر، وتثار بشكل مكثف في العديد من الأوساط ولدى كثير من الناس لاستخلاص ما يسمونه بفشل الفكر الحديث (الفلسفي) في تأسيس الفعل السياسي أي في تحقيق مجتمع السلم والاستقرار. وعبر أزرقان عن اعتقاده بأن الفكر الحديث قد تناول العلاقة بين القوة والحكمة بشكل عميق يستحق أن يثار من جديد للتذكير به والعمل على ترسيخه. ثم لخص الأمر في مجموعة الأفكار التي تعد بمثابة دروس قدمها الفكر الحديث: 1ـ على القوي أن يدرك بأن السلم يتوقف على تنازله هو نفسه عن حقه في استعمال القوة لوحده، وأن الحكمة بالنسبة اليه تكمن في الاعتراف بالآخر وبحقه في الحياة، لأن القوة وحدها لا يمكنها أن تضع حدا للعنف. 2ـ أن القوة أصلا تتحول الى عنف مادي أي اقتصادي وسياسي (مصلحي) وليس فكريا حتى وان اتسم بهذا الطابع الأخير في مظهره الخارجي. 3ـ أن المحدثين ركزوا على الجمع بين القوة والحكمة لتأسيس الدولة الحديثة، أي لتعدد الدول، كي يضعوا حدا للامبراطورية. فوجود امبراطورية وسط المجتمع الحديث مخالف تماما لروح الحداثة وقيمها. 4ـ كما فكر المحدثون بذلك في اطار الكونية وليس في اطار العولمة، فقد أرادوا فرض الفردي والخصوصي في اطار الكونية، لا النموذج الواحد في اطار العولمة. ومجموع هذه الدروس هو المقصود بالحكمة .

ومن جانبه ذهب د. ادريس كثير ـ الكاتب العام للجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة، الى أن الأنثروبولوجيا هي وحدها الكفيلة بالتحدث عن الفضاء المتوسطي وتحديد قيمته من منظور فلسفي، والعلوم الانسانية بكل مشاربها هي التي تستطيع رصد أشكال التحالف والتصارع بين الحضارات، وأبرز بأن الفلسفة لعبت دورا تاريخيا حاسما في مساءلة الحوض الفكري لهذه المنطقة بأكملها انطلاقا من اليونان، ومن ثم انبثقت الفلسفة مرورا بالأندلس في اتجاه أوروبا وباقي دول العالم.

سعدي يوسف في مراكش:

دروس عبد الصبور لم تقرأ مصريا بشكل جيد وأدونيس بنى كاتدرائية

مراكش ـ «القدس العربي»:

قال الشاعر العراقي سعدي يوسف إنه لا يعمد إلى استغلال الأساطير في شعره لأنه يعتبر أن «أساطير الواقع أكثر جنوناً ولأن «آلهة الأساطير أقل حمقا».

وأضاف سعدي يوسف أن جدوى الشعر قائمة «وإلا ما كنا نقرأ الشعر ونناقشه، «معتبرا الشعر «وسيلة حقيقية للتعبير وتغذية الضمير الجمالي والوطني» للناس كافة.

وبمقر المركز الفرنسي، الذي استضافه بتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمدينة، رتل مساء يوم الثلاثاء قصائد إقامته الفرنسية التي تجمعها دفتا كتابه الشعري (قصائد باريس). يقول «على عادتي كنت دوما أتفحص الوجوه وأحاول التقاط الأشياء».

تلا قصائد (بيانو كونداليزا رايس) و(الماندولين) و(الصباح) و(مسامير) و(جسر سولي) «تحت جسر سولي، أعبر الليل. دجلة، ما أطول الليل..» قبل أن يقرأ من قصيدة (أوفيليا) «كم أسمع موسيقى، في الليل، خطى أوفيليا، عند الباب، عند ممر الغرفة، عند البحر المركون إلى الحائط، عند المرآة، وتدخل أوفيليا في موسيقى الليل ....».

وبعد أن تمت قراءة ثلاثة نصوص لسعدي يوسف مترجمة إلى اللغة الفرنسية، عاد الشاعر العراقي ليقرأ قصيدته الاحتجاجية المطولة «يا رب احفظ أمريكا ... موطني ...

موطني الجديد «مصحوبا بصوت رفيقته الإنكليزية التي كانت تردد اللازمة على إيقاع موسيقى البلوز.

واعتبر سعدي يوسف أن صلاح عبد الصبور قدم للشعر المصري «دروسا لا حد لها» لكن «هذه الدروس لم تقرأ بعناية"، مشيرا إلى أن ديوانه «شجر الليل» شكل قمة نضجه الفني والإبداعي.

كما اعتبر أن لمحمد علي سعيد (أدونيس) «مشروعه المتكامل وطريقته في الكتابة»، مضيفا أن أدونيس «حقق منجزا عظيما، وبنى كاتدرائية إبداعية تعب على إنشائها وما زال يدعمها بأفكار ونصوص جديدة».

وقال سعدي يوسف إن الشاعر الأمريكي والت ويتمن، الذي ترجم ديوانه (أوراق العشب) إلى اللغة العربية، شكل «ثورة كبرى وقيمة نبيلة» و«حمل من أوروبا أعظم ما فيها من أفكار»، مشيرا في هذا السياق إلى معاداته للعبودية على سبيل المثال.

وأعرب سعدي يوسف عن اعتقاده أن ويتمن «ما يزال نموذجا للشاعر المغير»، وأن «تغييره يبدو أعمق كلما أوغلنا في الزمن» مضيفا أن التجليات الأخيرة للقصيدة الأمريكية الحديثة ذاتها ما زالت تحمل بصمات ويتمن بل إن «مجموع الشعر الأمريكي ما زال يعتمد عليه».

سعدي يوسف، بتواضع الكبار، تحدث عن نفسه، قائلا أن «الكتابة تدريب يومي كالعزف تماما» لذا فهو يكتب صباحات كل الأيام على جهاز الحاسوب مباشرة لأنه يساعده على «بلوغ النص نوعا من الاكتمال والإسراع في العملية الذهنية ما يمنح عملية الكتابة جدوى وآنية وسحرا».

وقال إنه ينتظر الكثير من الشعراء المغاربة الشباب، معتبرا عن رغبته في الالتقاء بالمزيد منهم وقراءة إبداعاتهم، مشيرا إلى أنه تعرف بمدينة مراكش على شعراء (المركب الشعري) واطلع على تجربتهم الجميلة.

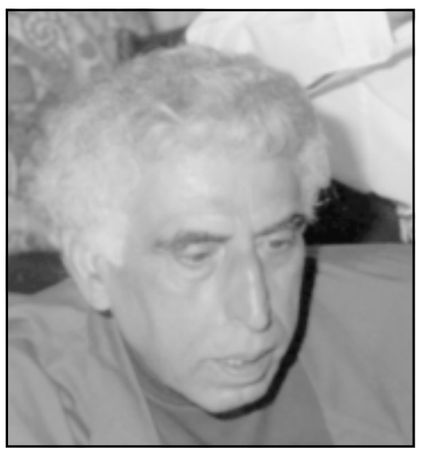

سعدي يوسف (القدس العربي)

وأضاف أنه لم يكن داخل العراق حين عاش البلد تجربة الحصار. وأن الشاعر يمكنه فك الحصار بالشعر والكلمة المقاومة، وأن «الفنان في مهجر دائم قد يكون داخل وطنه وقد لا يكون»، وهو مهجر «يحول بينه والمصالحة».

وأشار إلى أن الفنان الحقيقي هو المتحكم في مادته وواقعه، وأنه «بدون هذا الإحساس بالسيطرة على المادة الخام لا يستطيع المبدع التقدم خطوة واحدة في العملية الفنية».

واعتبر سعدي يوسف أنه، في مناخ الوضع الحالي، لا يمكن للمفكرين والفنانين «إلا الإيمان بمستقبل أفضل ومساعدة الناس على النظر بإيمان أكبر إلى هذا المستقبل»، مضيفا أن «الحروب نهاية يائسة للفشل السياسي» و«دليل ضعف وليست دليل قوة».

وأكد إيمانه أن «الأزمة المستحكمة (الناس والتاريخ ....) لن تستمر طويلاً" وأن «البوادر الأولى للتحلحل في هذا التحكم الأسود بدأت تلوح» في أوروبا وأمريكا اللاتينية و«حتى في أماكن لم نكن نتوقعها»..

يذكر ان سعدي يوسف كان آخر مغادري بيروت صيف عام 1982على متن باخرة «شمس المتوسط» كأنما ليفجر غضبه المكبوت في وجه العالم المتواطئ. كتب بمجلة «الحرية» إلى أن صدر آخر عدد منها. وتطوع للاشتغال بجريدة «النداء» اللبنانية تحت القصف الوحشي حين غادرها مرغمين عدد من محرريها، وكتب يومية (المعركة)، وترأس تحرير مجلات «التراث الشعبي» و«البديل» و«المدى».

عن مجموعة عبد الاله الصالحي الشعرية:

تحية للذي كلما لمس شيئاً كسره!

نجوان درويش*

■ لم يكن خبر منح مجموعة «كلما لمست شيئاً كسرته» للشاعر عبد الإله الصالحي، جائزة الديوان الأول من بيت الشعر المغربي، بالمستغرب لمن أتيح له أن يقرأ مجموعة الصالحي، والتي شكلت لي قراءتها نوعاً من الصدمة المفرحة حين عثرت عليها منشورة على أحد المواقع الالكترونية (جهة الشعر)، قبل أشهر من صدورها عن دار توبقال عام 2005. لا لم تكن صدمة مفرحة بقدر ما كانت هزة عنيفة، عنف الشعر حين تحس أنه كتب على طريقة الروليت الروسي، لا يعود الشعر هنا واحداً من الفنون اللغوية التي تتوسل الإجادة وتحقيق الشروط أو التعبير عن الذات إلى آخر تلك المقايسات والمأثورات التي تصبح بلا معنى أمام هكذا كتابة، وأمام شاعر يلعب بدمه ويضرب بكل قوة في محاولة لتهشيم الجمجمة الميتة للعالم الفاسد.

يشبه «كلما لمست شيئاً كسرته» ذلك النوع من الأعمال الأدبية التي تجيء رغم فرادتها الأدائية تلخيصاً لتجربة جيل أو مرحلة، حيث تمتاز بالإضافة إلى جدارتها الفنية، بالأهمية التي للشهادة والوثيقة، أي أنها تقدم التجربة الإنسانية الجمعية أعمق مما قد يفعل كتاب في علم الاجتماع أو السياسة. وبهذا المنظار يكون هذا العمل الشعري كتاباً عميقاً عن الهجرة، عن باريس والصعلكة المدينية عند حواف الجنس والسياسة والأفكار، وعن البلد الذي يسمّى المغرب، والذي اختصره في قصيدة أتذكر أن عنوانها كان «مغرب العهد الجديد» في النسخة الانترنتية قبل أن يجري تغييره إلى «مجرد عاب» في الكتاب المطبوع. لقد قالت هذه القصيدة ما لم تستطع أطنان من مطبوعات «العهد الجديد» المغربية أن تقوله، فمن خلال ما قد يبدو قصيدة عن العالم السفلي لعابر بين بائعات اللذة، يقول «العاب» القصة من أولها لآخرها، لنتأكد معه في النهاية «أن أولئك الصغيرات العابرات أصدقُ شيء في هذه البلاد».

وفي وقت أثبتت فيه بيوت الشعر العربية أنها ليست أكثر من حواضن دجاج للسلطة، يأتي منح بيت الشعر المغربي لجائزة الديوان الأول لـ«كلما لمست شيئاً كسرته»، ليمنح مصداقية لهذه الجائزة (التي أعلم عنها لأول مرة) ولبيت الشعر المغربي، أكثر مما يفعل للديوان الممنوح الذي يزيد عن كونه أفضل ديوان أول، فهو في تقديري واحد من أفضل المجموعات الشعرية العربية التي صدرت في السنوات الأخيرة، وهو بهذا المعنى ينافس مجموعات لشعراء مكرّسين وليس من العدل وضعه في سياق الديوان الأول الذي يصدره شعراء شبان يحاولون تلمس أصواتهم الشعرية. فالصالحي الذي يبدو كأنما ولد دفعة واحدة في هذه المجموعة، يقدّم بولادته المكتملة هذه درساً أمام اهتزاز مفهوم المجموعة الأولى التي سرعان ما يتبرأ منها أصحابها باعتبارها طيش شابٍ أو حملاً خاطئاً لمراهقة.

إن هكذا مجموعة أولى بلا شك ترفع مقاييس المجموعات الأولى التي يتعامل معها الشعراء والنقد بتراخ وتساهل، في وقت يصعب فيه تخيّل الجهد والصبر والصرامة التي بذلها الصالحي ليبدأ بمجموعة أولى بهذا النضج والمستوى المتقدم.

حقيقة أشعر بالارتباك من فكرة «تهنئة» عبد الإله بجائزة، فلست ذلك الذي يوقّر «المكتسبات» وخصوصاً «الجوائز»، كما أن الصالحي ليس من نوعية الشعراء الذين يعرفون «تقبّل التهاني»، فهو من الذين وبوعي مبكّر تركوا «القناعة للأثرياء الجدد والشعراء المُكرسين»!

* شاعر من فلسطين

نشيد الكرسي

حسن طلب *

هل تذكرُ قصتنَا يا مولانا ؟!
إن كنتَ نسيتَ القصةَ.. ذكّرْناكْ:
لمّا ولّيتَ ـ بمَحض مصادفة عمياءَ ـ سكتَنْا.. وقبلناكْ
قلنا: لا بأسَ..
عسى خلفٌ خيرٌ من سلَف !
وخطبتَ..
ففي البدء تكلمتَ بلا صلف
فأتيْنا وسَمعناكْ
قلت لنا:
لن تجدونى منفرداً بالأمر..
ولن أبقَى فوق الكرسىّ..
مدى العُمر..
لكىْ لا أحجُبَ غيرْى
وسيكفيكُمْ خيرى شرَّى
ووَعدت.. فصدقْناكْ

ولبستَ مُسُوحَ العفَّة..
أبديْتَ الزهدَ..
كأنكَ من أهل الصفُّة !
أعلنْتَ طهارةَ أيديكَ.. فشجعَّناكْ
ورفعتَ شعارَ الحريةِ والعدلِ..
فأيدْناكْ
قلتَ: ستمضى بالقافلة الميمونة..
نحو غد رغَد
وطلبْتَ الصبرَ إلى أمدٍ
فتبعناكَ على أملٍ
وركبْنا ـ رغمَ الخوفِ ـ قطاركْ
حتى لما انحرفَ قطارٌ الشؤمِ..
أفقْنا.. ورأيناكْ
فإذا بكَ قد أبدلْتَ طريقكَ..
بل ـ بمرورِ الوقتِ ـ عكسْتَ مساركْ !

وتطرَّفتَ..
إلى أن أشرفْتَ بنا اليومَ
على مهلُكَة !
وسألنا.. فَوجدناكَ هناكْ
كنتَ تُعدُّ بليلٍ
لتُحيلَ الجُمهوريةَ – عند السَّحَرِ ـ إلى مملكة !
فهتفْنا : لا وُفّقتَ..
ولا بلغَتْ آصالُكَ أسحاركْ !
ونظرنا.. وتأملْناكْ
فبدوْتَ كأنكَ شخصٌ آخرُ..
غيرُ مباركْ

لم نعرفْ: هل أنتَ بنفسكَ..
ألقيْتَ قناعكَ عنكَ ؟!
وهل بيديْكَ نزَعتَ خماركَ !
أم هل مسَخَ حقيقتَكَ : الشئُ القدْسىُّ..
الجالسُ فوق مصائرنا
ونُسمّيه : المجلوسَ عَليْه ـ الكرسىَّ
فشكلَّكَ.. وصاغَ وجودكَ..
منذُ قعدْتَ عليْه ؟!
أم أنَّ قعودكَ أنساكَ وعودكَ !
أم خانَ مكانُكَ – فوق الكرسىِّ
– زمانكَ :
أصبحَ قدَّامكَ : خلفكَ..
فوقكَ: تحتكَ..
ويمينكَ صارَ يساركَ!
لا.. لم نتجنَّ عليكَ.. ولكنْ :
أنتَ بنفسكَ لوَّثتَ يدْيكَ..
ولطّخْتَ إزَاركْ
ما أغربكَ.. وأغربَ أطواركْ!
بل ما أعْجبَ ما يفعلُهُ
هذا الشىءُ الغيبىُّ..
الكامنُ فى القُرصِ الجلدىِّ..
أو الخشبىِّ..
لمن يعطيه مقعْدةَ
لجلوسِ الدَّهرِ مؤبَّدةً !
فكأنَّ هنَاكَ – بين الكرسىِّ وبين الإنسانِ ـ مُعاهدةً
يتوحَّدُ فيها الطَّرفَانِ بحلْفِ دمٍ
فيدوران معًا
فى حالِ وُجود.. أو عدم !
فإذا الكرسىُّ أخَلَّ بهذا العهدِ..
أو انفصلَ..